البيت الإنجليزى

سماته ، وميزاته

يبلغ عدد السكان فى مدينة لندن نحو عدد سكان الوجه البحرى فى مصر . أى ما يقرب من سبعة ملايين ساكن . ومع ذلك لا تجد قهوة واحدة كتلك التى ترى فى القاهرة حيث تصف الكراسى والموائد و يقعد الناس للحديث أو التلهى برؤية الرائح والغادى . وليس معنى هذا أن لندن تخلو مما يقوم مقام القهوات عندنا . فان فيها الكثير من الأندية التى يجتمع فيها فئات متشابهة من الناس. كما أن فيها عددا كبيرا من الحانات التى تشرب فيها الخمور . ولكن شارب الخمر فى لندن يشربها عادة وهو واقف. وقلما يقعد، إلا إذا شاء أن يتناول مع شرابه طعاما . ومشارب الشاى كثيرة بالطبع ، لأن حب الانجليز للشاى يبلغ حد الإسراف . ولكن مشرب الشاى هو مطعم أيضا . والانجليزى — لأنه يتناول غداء خفيفا — يحس الجوع حوالى الساعة الرابعة فيحتاج إلى أن يأكل شيئا مع الشاى. وقل أن يقضى فى مشرب الشاى أكثر من ربع أو ثلث الساعة .

ونظام العمل فى لندن يبدأ من الصباح المتأخر و يستمر إلى وقت يتراوح بين الرابعة والسادسة فى المساء . فإذا انتهى العامل أو الموظف من عمله قفل راجعا إلى منزله حيث يبقى إلى الصباح التالى . إلا إذا كان هناك ملهى يقضى فيه مع زوجته السهرة . فالبيت فى انجلترا — وهى لا تختلف عن لندن من حيث نظام العمل — مكان محبب إلى سكانه يقضون فيه معظم وقتهم . وهم لهذا السبب يعنون به بناء وتأثيثا . وربما كان أشهر الأغانى الإنجليزية أغنية عن البيت لا يكاد يجهلها انجليزى رجلا كان أو امرأة أول أبياتها :

Home, sweet home. أى : أيها البيت : أيها البيت العذب. وللبرد الذى يسود الجو الانجليزى نحو تسعة أشهر فى العام تأثير اجتماعى خاص، إذ هو يحث على الاكتنان وطلب الدفء . وهذا هو أحد الأسباب التى تجعل من المستحيل تقريبا أن يمضى الناس سهراتهم فى قهوات مكشوفة كالحال الشائعة فى مصر. فالإنجليزى يلجأ إلى بيته وهو فى أغلب الأحيان مقرور فيقصد إلى الموقد للاصطلاء . ومن هنا صار الموقد والبيت اسمين مترادفين فى اللغة الانجليزية .

ومعظم البيوت فى المدن الانجليزية يستقل به الساكن من باب الشارع . وقد فشا نظام الشقق فى المبانى الكبيرة ، ولكن الانجليزى لا يزال يحب المنزل المستقل . وقد ساعدته الحكومة على ذلك بأن منعت بناء المنازل المتلاصقة ظهرا لظهر . أى يجب على كل مالك أن يترك فضاء يصح أن يكون حديقة خلف المنزل . والعادة أن المنزل الانجليزى تتقدمه حديقة صغيرة قد لا يتجاوز عرضها مترا أو مترين ، وقد تبلغ سبعة أو ثمانية أمتار . أما فى الخلف فان الحديقة كبيرة تزرع فيها الأسرة ما شاءت من أشجار الزينة أو النباتات النافعة . وهذه الحدائق رئات أو خزائن للأكسجين فى مدينة مكتظة بالسكان . كما هى سلوى يجد فيها رب البيت فترة الراحة التى ينشدها بعيدا عن الصخب ، إذ هو حين يكون فيها لا يسمع شيئا من حركة الشارع الذى ينفصل منه بناء المنزل .

والمنازل تبنى فى الشارع شكة واحدة لا تتغير . وبذلك يكتسب الشارع جمالا إذ لا يجد السائر فيه منزلا يشذ عن النظام أو تنفر منه العين . كما أن كثيرا من المنازل لا يعرف برقمه كما هى الحال عندنا بل باسمه كأن له شخصية . وفى هذا ما يدل على تعلق صاحبه به .

وغرفة الضيوف فى البيت الانجليزى هى غرفة الجلوس للعائلة . وهى تزود بالكراسى المريحة التى يمكن الاستناد إلى ظهرها الطرى والاضطجاع على مساندها . ولذلك لا يتعب الإنسان من القعدة الطويلة . والراحة هى التى تنشد فى الأثاث الانجليزى قبل الفخامة والأبهة . ولذلك كثيرا ما تكون الكراسى من الأديم المتين . وردهات المنزل وممراته حتى المرحاض تفرش جميعها بالسجاد أو ما يقاربه . ولا يخلو بيت انجليزى ، مهما بلغ بسكانه الفقر من غرفة للاستحمام تحوى حوضا يملأ بالماء الساخن أو البارد . والاستحمام اليومى عند الانجليز من الشعائر الاجتماعية التى لا يستغنى عنها ولا تتم المروءة بدونها للرجال والنساء .

ولكن يحدث أحيانا للاقتصاد فى الوقود أن تكون غرفة الطعام هى نفسها غرفة الجلوس للعائلة . وعندئذ تزود هذه الغرفة بالمقاعد الوثيرة ، ورفوف المكتب وجهاز الراديو فون . والجو العام فى البيت الانجليزى هو جو الراحة لا جو الترف . أما النظافة فان حرص ربة البيت عليها يكاد يكون هوسا . ولذلك يمكن أن يقال إن ٩٩ فى المائة من السكان فى بريطانيا لم يروا برغوثا أو بقة فى حياتهم .

والحكومة البريطانية تنفق ملايين الجنيهات للتشجيع على بناء المنازل ، باعتقاد أن صاحب البيت هو عضو حسن فى الهيئة الاجتماعية ، يحس المسئولية لأنه مالك . ولذلك أقرضت جمعيات البناء قروضا كبيرة بفوائد صغيرة وامتيازات مختلفة من ناحية الضرائب . وهذه الجمعيات

تبنى المنزل ثم تبيعه لمن شاء على طريقة " الاستهلاك بالإيجار " أى أن المستأجر يسكن منزله ويؤدى إيجاره حتى إذا مضت سنوات معينة صار مالكا له . وهذه الطريقة تتبع أيضا فى بيع الأثاث . والمحاكم الانجليزية تدرك المغزى من هـذا النظام وتشجع عليه بأحكام رادعة لمن يؤذون التاجر الذى يستأجرون منه أثاثه ويبددونه .

والعادة فى المدن الانجليزية أن يفطر العامل أو المستخدم فطورا ثقيلا بالمقابلة الى ما نتناول نحن فى الصباح . إذ هو يأكل البايلة باللبن واللحم والبيض والزبدة والمربى والخبز والشاى . فإذا كان الظهر لم يرجع الى المنزل ، بل يتناول غداءه — وهو يشبه فطورنا فى الخفة — فى مطعم قريب من عمله . ثم يعود فى الساعة الرابعة الى منزله حيث يتناول الشاى . وإذا كان عمله يقتضى البقاء الى السادسة فإنه يتناول الشاى خارج منزله . والوجبة الثقيلة هى العشاء وهى التى تجتمع فيها العائلة بجميع أفرادها .

وعناية الانجليز بالسكون كبيرة جدا . ولذلك يمكن أن يقال إنه على الرغم من ضخامة لندن وما فى شوارعها من حركة لا تنقطع فإنها أكثر سكونا من القاهرة . وقد أقيم معرض حديث للمنازل من حيث البناء والتأثيث فى انجلترا امتاز فيه منزل بميزة عجيبة ، وهى أنه فى إحدى غرفه قد أطلق بالقرب من نافذتها مسدس فلم يسمع السكان عياره . وذلك لأن بناء الجدار وكذلك نظام النافذة وما فيها من زجاج قد هيئ جميعه بحيث يمنع انتقال الصوت . ولعل الأعصاب الانجليزية فى حاجة الى مثل هذا النظام فى بيوتهم لكى يكون منـه ما يخفف عنـاء الحياة فى حضارة تفتتّ الأعصاب بما فيها من عجلة وضجة . فإن كل شىء يجرى فى عجلة حتى السابلة فى الشوارع تلاحظ عليهم هذه العجلة فى السير . والمشى الوئيد لا يكاد يعرف .

تعزية حكيمة :

مات للأشعث بن قيس ولد عزيز فكتب الإمام على يعزيه : " يا أشعث ، إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك صلة الرحم ، وأن تصبر ففى الله من كل مصيبة خلف . وإن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور " .